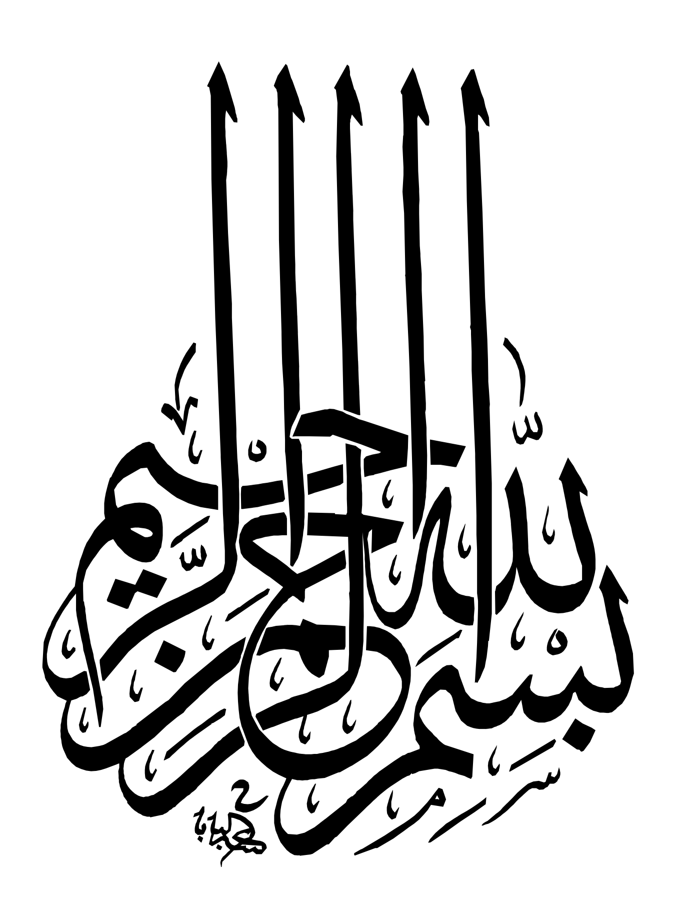
مفتاح النجاح

الشيخ الدكتور عائض بن عبد الله القرني



الكلمة الطيبة ، والنصيحة الصادقة ، المستمدتان من الكتاب والسنة ، ومن سيرة السلف الصالح ، ومن سلوك علماء الأمة العاملين .

إن هذه الكلمة وتلك النصيحة لتشدان الهمم وخاصة لأصحاب المواهب في الأمة بوصفهم مصابيح ظلامها ، ومعارج رفعتها ، فبهم تزدهر وتتقدم ، ومن هنا كانت حاجتهم إلى الرعاية الخاصة والنصح والإرشاد مسيسة ، لأن في هذا تحفيزاً للنفوس ، وتقوية للعزيمة ، ليشمر المرء عن ساعد الجد والاجتهاد في طريق رضوان الله وبناء الأمة القويمة .

وجاء كتابنا هذا ليضم من الحكَم والمواعظ النثرية والشعرية ما ترتاح له النفس ، ويحيا به القلب ، كما أنه دعوة صادقة لكل موهوب أن هيا إلى المجد وأقبل على المعالي ، فلا مكان لمتخلف بين متقدمين ، ولا مكان لخامل بين مجدين .

نسأل المولى عز وجل أن تعم به الفائدة ، وأن ينفع به جميع المسلمين .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وعلى آلـــه وصـــحبه والتابعين،،

وبعد ؛؛؛

فهذا كتاب ***(مفتاح النجاح)*** كتبته لكل صاحب همة، وراقب عزيمـــة، ورفيــق طموح، يريد النجاح في الدنيا والآخرة، فيكون مقبولاً عند الله وعند خلقه، راضياً عــن ربه وربه راضياً عنه، محبوباً عند أهله وذويه وأصحابه، لحياته معنى وله قضية، ولديه مبدأ، وجعلته ثلاثة عشر فصلاً.

وكان آخرها قصيدة لكل موهوب، ومنظومة لكل طموح، تقول له: هيا إلى المجد يا ابن الجد، وأقبل إلى المعالي، وأهجر الكرى، وفارق الكسل، وأصعد سلم الإبداع، وترق في درج الكمال وأهتف بقلبك: ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ .

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يبلغنا جميعاً منـــازل النـــاجحين الفالحين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

عائض القرني

الفصل الأول

منطلقات الناجحين

- الأعمال بالنيات فانوِ الخير في كل عمل، واستحضر نفع الآخرين والكف عن الشر.
- لا تضق ذرعاً بالمحن فإنها تصقل الرجال، وتقدح العقل، وتشعل الهمم.
- العمل والجد هو الطريق الأعظم إلى الجد، وهو بلسم لأدوائك، وعلاج لأمراضك بل هو كنزك.
- قيمة كل امرئٍ ما يحسن، والعاطل صفر، والفاشل ممقوت، والمخفق رخيص.
- ركِّز اهتمامك على عمل واحد، وانغمس فيه واحترق به وأعشقه لتكن مبدعاً.
- ابدأ بالأهم فالمهم، وإياك والشتات وتوزيع الجهد، على عدة أعمال فإنه حيرة وعجز.
- النظام طريق النجاح، ووضع كل شيء في موضعه مطلب الناجحين، أما الفوضى فهي صفة مذمومة.
- الناجحون يحافظون على مقتنياتهم وأمتعتهم وأشيائهم، فلا يبذرون ولا يفسدون.
- ولا يفوح العطر حتى يسحق، ولا يضوَّع العود حتى يُحرق وكذلك الشدائد لك هي خير ونعمة.
- الناجح لا يغلب هواه عقله، ولا عجزهُ صبرَه، ولا تستخفّه الإغراءات ولا تشغله التَّوافه.

- إياك والضجر والملل، فإن الضجر لا يؤدي حقاً ، والملول لا يرعى حرمه وعليك الصبر والثبات.
- من ثبت نبت، ومن جدَّ وجد، ومن زرع حصد، ومن صبر ظفر، ومن عزَّ بزَّ.
- النملة تكرر الصعود ألف مرة ، والنحلة تذهب كرَّة بعد كرَّة ، والذئب من أجل طعامه هجر المسرَّة.
- لمَّا هوى السيف قَطَع، ولمَّا اشتعل البرق سَطَع، ولمَّا تواضع الدر رُفِع، ولمَّا جرى الماء نفع.
- الكسول مخذول، والهائم نائم، والفارغ بطال، وصاحب الأماني مفلس.
- من يكن له في بدايته احتراق لم يكن له في نهايته إشراق، ومن جدَّ في شبابه ساد في شيخوخته.
- تذكر أن في القرآن: سارعوا، وسابقوا، وجاهدوا، وصابروا، ورابطوا.
- وفي السنة: أحرص على ما ينفعك، وبادروا بالأعمال، ونعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.
- أبو بكر الصديق ثاني اثنين، أنفق كلَّ ماله، ويدعى من أبواب الجنة الثمانية، وهو قامع الردة.
- عمر بن الخطاب، يفرُّ منه الشيطان، وافقه الوحي أكثر من مرة.
- عثمان بن عفان يجهز جيش العسرة، ويوقف بئر رومة، ويختم القرآن في ركعة.
- على بن أبي طالب يبارز في بدر، ويفتح حصن خيبر، ويقتل مرحباً، ويذبح عمرو بن ود يوم الخندق.

- وخالد بن الوليد يخوض مائة غزوة، ويَقتل يوم اليرموك خمسة آلاف بيده، ويكسر تسعة أسياف.
- وجُرِحَ الزبيرُ بن العوام في كل جزء من جسمه، وحمل السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار حواريَّه في الجنة.
- وضُرِبَ طلحةُ في جسمه حتى شلَّت يدهُ، وقُتِل حنظلةُ جنباً فغسلته الملائكة، واهتز عرش الله لموت سعد.
- وطُعِنَ عبدُ الله بن عمرو والد جابر أكثر من ثمانين طعنة فكلَّمه الله بلا ترجمان.
- وجمع أبيٌّ بن كعب القرآن وجوَّده، فذكره الله في الملأ الأعلى، وأمر رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه سورة البينة.
- وتصدَّق ابن عوف بألف جمل بحمولتها على الفقراء، وتصدَّق أبو طلحة بمزرعته في سبيل الله.
- وحفظ أبو هريرة غالب السنة، ووزَّع ليله ثلاثاً ؛ للصلاة، والمذاكرة والنوم.
- ومشى أحمد بن حنبل ثلاثين ألف ميل في طلب الحديث، وحفظ ألف ألف أثر، وترك المسند أربعين ألفاً.
- وسافر جابر بن عبد الله في طلب حديث واحد إلى مصر شهراً، وسافر ابن المسيب ثلاثة أيام في مسألة.
- وروى ابن حبان الحديث عن ألفي شيخ، وصنَّف الصحيح فصار أعجوبة، وتبحر في الفنون حتى صار نجم زمانه.

- وكرر المزني رسالة الشافعي خمسمائة مرة، وكرر عالم أندلسي البخاري سبعمائة مرة .
- وأعاد أبو إسحاق الشيرازي درسه مائة مرة، وأعاد كلَّ قياس ألف مـــرة، وألَّــف مائة مجلد .
- وصنف ابن عقيل الفنون ثمانمائة مجلد، وكان يأكل الكعك عن الخبز ليوفر قراءة خمسين آية.
- وكتب ابن تيميه في اليوم أربع كراريس، تُفَرَّغُ الواحدُة منها في أسبوع، ويؤلِّــف كتاباً كاملاً في جلسة واحدة، وكُتِبَ عنه أكثر من ألف مؤلف.
- وكتب ابن جرير مائة ألف صفحة، وصنف ابن الجوزي ألف مصنف، وحفظ ابن الأنبا ري أربعمائة تفسير.
- وبقي عطاء بن أبي رباح ينام في المسجد ثلاثين سنة في طلب العلم، وما فاتــت تكبيرة الإحرام الأعمش ستين سنة.
- وذكر النووي أن كرز بن وبرة كان يختم القرآن أربعاً في الليــل وأربعــاً فــي النهار، وختم ابن إدريس القرآن في بيته أربعة آلاف مرة، وكان الشافعي يخــتم القرآن في رمضان ستين مرة، والبخاري ثلاثين مرة، وكان أحمد يصلي في اليوم ثلاثمائة ركعة.
- وكان أبو هريرة يسبح اثني عشر ألف تسبيحه، وكان خالد بن مروان يسبح مائة ألف تسبيحه.

- وعاصرنا من كان يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ألف مرة كل يوم، ومن كان يختم القرآن كل يوم ختمة، ومن كان يسبِّح خمسة عشر ألف تسبيحه في اليوم.
- وألف سيبويه أعظم كتاب في النحو وهو في الثلاثين من عمره وتوفى النووي وعمره أربعون سنة وقد ترك تراثاً ضخماً.
- وطرفة بن العبد من أصحاب المعلقات، قُتِلَ وعمرُه ستٌّ وعشرون، وقاد محمد بن القاسم الجيوش وعمره سبع عشرة سنة.
- وروى الحسن الحديث عن جده صلى الله عليه وسلم وعمره خمس سنوات، وعقل محمود بن الربيع مجة النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وعمره خمس سنوات.
- وحفظ ابن عباس الحديث وعمره ثماني سنوات، وكان ابن تيمية يفتي وعمره ثماني عشرة سنة.
- وألف ابن حجر الفتح ومقدمته في ثنتين وثلاثين سنة، وكتاب الغريب لأبي عبيد في أربعين سنة، وكتاب الأغاني للأصفهاني في خمسين سنة .
- وقتل جعفر البرمكي الوزير الخضير الجواد وعمره سبع وثلاثين سنة، وعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الزاهد أربعون سنة، وابن المقفع سبع وثلاثون سنة.
- وحج مسروق فما نام إلا ساجداً، وصام الأسود بن يزيد حتى أخضر جسمه، وبكى يزيد بن هارون حتى ذهبت عيناه، ومشى أبو موسى الأشعري حتى تشققت قدماه.

- وقال البخاري: ما كذبت كذبة منذ احتلمت، وقال الشافعي: ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً.
- ما عال من اقتصد، وما فشل من اجتهد، ومن تفقّه في شبابه تعلقت السيادة بأهدابه.
- مالُك هو عمُّكَ، وخالُكَ، وفلوسُك هي ضروسُك، ودراهمُك هي مراهمُك، فلا تسرفْ ولا تبخلْ.
- إن الماء الراكد يأسن، وإن البلبل المحبوس يموت، والليث المقيِّد يذل.
- ألذ طعام بعد جوع، وأعذب ماء بعد ظمأ، وأهنأ نوم بعد تعب، وأجمل نجاح بعد تضحية.
- إن الكتب تلقّن الحكمة ولكنها لا تخرِّج حكماء ، والسيف يقتل لكن بكف الشجاع.
- السباحة لا تُتعلم في الدفاتر ولكن في الماء، والرياضة لا تتلقى من الشاشة ولكن في الميدان.
- الدنيا تؤخذ غلاباً، وسوق المجد مناهبة، والحياة صراع، والعلياء تنال بالعزائم.
- مَنْ عنده همة متوقدة، ونفس متوثبة، ونشاط موار، وصبر دائم، فهو الفريد.
- قيل لأبي مسلم الخرساني: مالك لا تنام ؟ قال: همة عارمة، وعزيمة ماضية، ونفس لا تقبل الضيم .
- أسرع الفرس فركبه الملوك، وتبلَّد الحمار فركبه العبد، وافترس الأسد فملَكَ الغابة.

- لا يُرهَبُ السيفُ حتى يسلَّ ، ولا يُخافُ الرعدُ حتى يجلجلَ، ولا يُهرب من السيل حتى يحتدمَ.
- أجرى أديسون مكتشف الكهرباء عشرة آلاف تجربة على بطارية، كلها أخطأت فواصل حتى نجح.
- وأقام أنشتاين عمره كله في النظرية النسبية.
- جُمِعَ من براية أقلام ابن الجوزي ما أُدفِئ به ماءُ غسله عند الموت.
- وجُمِعَ الغبارُ من عمامة صلاح الدين فجعل لبنة تحت رأسه في القبر.
- وترك حملُ الطعام للأيتام في الظلام في جسم علي بن الحسين آثاراً وندوباً .
- ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ .
- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ .
- (الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني).
- أجمل السواعد سواعد العمال، وأحسن الرؤوس رؤوس المحلقين، وأهنأ النعاس نعاس المتهجِّدين، وأطهر الدماء دماء الشهداء.
- الذي يقهر نفسه أعظم ممن يفتح مدينة، والذي يقاوم هواه أجلُّ ممن يحارب جيشاً.
- صام أبو طلحة الأنصاري أربعين سنة سرداً ، وحج ابن المسيب ستين حجة، وأفتى الإمام أحمد في ستين ألف مسألة بالدليل.

- خدم أبو شجاع الملوك ستين سنة، فكفر عنها بخدمة ستين سنة في مسجد رســول الله صلى الله عليه وسلم.

- فكن رجــلاً رجلــه في الثــرى   وهامـــــة همتـــــه في الثريــــا

- لا تســـقني مـــاء الحيـــاة بذلـــةٍ   بل اســـقني بـــالعزِّ مـــاء الحنظـــل

- طاف ابن بطوطة الدنيا في ثلاثين سنة ، ولقي في رحلته الألاقـــي حتـــى جمـــع الغرائب والعجائب وصار حديث الدهر.
- اعتزل ابن خلدون في قلعة فكتب تاريخه وحرره وحبَّره فصار آية للسائلين.
- كتب ابن عساكر الحافظ تاريخ دمشق في ستين سنة، فما ترك عالماً ولا أديباً ولا شاعراً ولا شاردة ولا واردة عن دمشق إلا سجَّلها.

- اطلـــب ولا تضـــجر مـــن مطلـــب   فآفـــــة الطالـــــب أن يضــــــجرا
  أمـــا تـــرى الحبـــل بطـــول المـــدى   على صـــليب الصـــخر قـــد أثـــرا

- وإنمـــا رجـــل الـــدنيا وواحـــدها   من لا يعول في الـــدنيا علـــى رجـــل

- ومشـــتت العزمـــات ينفـــق عمـــره   حــــيران لا ظفـــــر ولا إخفــــاق

- وكان ابن تيميه إذا صعبت عليه مسألة استغفر ألف مرة، وقال تلاميذ الخطيب البغدادي له ــ وهم في سفر ــ حدِّثنا، فقال: نبدأ بالقرآن، فختمه كلَّه ثم حدثهم.

- وقيل لأبي الطاهر السلفي: من أين لك هذا العلم؟ قال: من جلوس في بيتي مع الكتب سبعين سنة.

- **لا يصلح النفس ما دامت مــدبرة إلا التنقل مــن حــال إلى حــال**

- عليك بالمشي والرياضة والنظافة، فإن الناجحين أقوياء أصحاء.
- بارك الله لأمتي في بكورها، فإذا أردت عملاً فعليك بالصباح فإنه أسعد الأوقات.
- لا تقف، فإن الملائكة تكتب، والعمر ينصرم، والموت قادم، وكل نَفَسٍ يخرج لــن يعود.
- مَــنْ زرعَ (ســوفَ) أنبتــتْ لــه (لعــل) وأطلعــت (بعســى) وأثمــرت (بليت) لها طعم الندامة ومذاق الحسرة.
- إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وبادر الفرصة، وأحذر البغتة، وإيــاك والتأجيــل والتردد، وإذا عزمت فتوكل على الله.

- **لا تقــل قــد ذهبــت أربابــه كل من سار على الدرب وصــل**

- الإبداع إن تجيد في تخصصك ، وما يناسب مواهبك، فقد علم كل أناس مشــربهم، ولكلٍّ وجهة هو موليها.
- لا يضير الناجحين كلام الساقطين، فإنه علو ورفعة، كما قال أبو تمام:

- **وإذا أراد الله نشــر فضــيلة طويت أتاح لهــا لســان حســود**

- النقد الظالم قوة للناجح، ودعاية مجانية وإعلان محترم له وتنويه بفضله:

- **وإذا أتتك مذمتي مـــن نـــاقص فهـــي الشـــهادة لي بـــأني كامـــلُ**

- الناجح يقوم بمشاريع يعجز عنها الخيال، وتبهر عظماء الرجال، وتثيـــر الدهشـــة والغرابة والتعجب من عظمتها.
- الناجح لا يعيش على هامش الأحداث، ولا يكون صفراً بلا قيمة، ولا زيادة فـــي حاشية.
- مَنْ كانت همته في شهواته وطلب ملذاته كثر سقطه، وبان خللـــه، وظهـــر عيبـــه وعواره.
- من خدم المحابر خدمته المنابر، ومن أدمن النظر في الدفاتر احترمته الأكابر.
- من خلق الناجح التفاؤل وعدم اليأس والقدرة على تلافي الأخطاء، والخروج مـــن الأزمات، وتحويل الخسائر إلى أرباح.
- القطرة مع القطرة نهر، والدرهم مع الدرهم مال، والورقة مـــع الورقـــة كتـــاب، والسَّاعة مع السَّاعة عمر.
- أمس مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد، فاغتنم لحظتك الراهنة فإنها غنيمـــة باردة.
- المؤمن لا يخلو من عقل يفكر، ونظر يعبّر، ولسان يذكر، وقلب يشكر، وجد على العمل يصبر .

- في الدقيقة الواحدة تسبح مائة تسبيحة، وتقرأ صفحة من المصحف، وتطالع ثـــلاث صفحات من كتاب، وتكتب رسالة، وتتلو سورة الإخلاص ثلاثاً.
- كرر النيسابوري صحيح مسلم مائة مرة، وأعاد ابن سيناء كتاب الفارابي أربعـــين مرة، وقرأ بعضهم المغني عشر مرات.
- احترقت كتب ابن حزم كلُّها فأعادها من حفظه، وكان قتادة يحفظ حمل بعير، وقال الشعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء إلا حفظتها.
- وقام سفيان الثوري ليلة كاملة يصلي حتى أصبح، وتذاكر ابن المبارك الحديث هو واحد العلماء وقوفاً حتى الفجر، وبقي محمد الأمين الشنقيطي يبحث مسألة يومـــاً وليلة.
- وكتب يحيى بن معين لفظ صلى الله عليه وسلم ألف ألف مرة، وكان ربمـــا كتـــب الحديث خمسين مرة، وقال الشعبي: أقل ما أحفظ الشعر، ولـــئن شـــئتم لأنشـــدتكم شهراً كاملاً .
- الناجح يحترمه أطفال مدينته، والفاشل يسخر منه كل أحد حتى لو اعتذر لهم ألـــف مرة.
- مَنْ بكَّر في طلب العلم بكور الغراب، وصبر صبر الحمار، وعزم عزمة الليـــث، وأختلس الفرص اختلاس الذئب حصَّل علماً كثيراً.
- الكسلان محروم، والعاطل نادم، ومع الحركة البركة، ومن صـــال وجـــال غلـــب الرجال.
- الطريق شاق، ناح فيه نوح، وذبح فيه يحيى، وقتل فيه عمـــر، وأريـــق فيـــه دم عثمان، واغتيل علي، وجلدت فيه ظهور الأئمة.

- نسخ ابن دريد كتاب الجمهرة أربع مرات، ونقح البخاري صحيحه ست عشرة سنة يغتسل عند كل حديث ويصلي ركعتين.
- أجَّر أحمد بن حنبل نفسه في طلب العلم، وباع أبو حنيفة بعض سعف بيتــه فــي العلم، وجاع سفيان ثلاث أيام في طلب الحديث .
- كان النووي يطالع ويكتب، ويحفظ ويصلي ويسبح، فإذا نعس نام قليلاً وهو جالس، وكان للشوكاني اثنا عشر درساً في اليوم، وكان ابن سيناء يكتب في اليوم خمســاً وعشرين صفحة.
- كان إدريس النبي خياطاً، وداود حداداً، وأجَّر موسى نفسه في الرعي، وكان ابــن المسيب يبيع الزيت، وأبو حنيفة يبيع البز.
- البدار البدار، قبل تقضى الأعمار وكتابة الآثار، فلا بقاء مع الليل والنهار.
- أعوذ بالله من خسة الهمم، وتفاهة العزائم، وسخف المقاصد، وثخانة الطبع، وبلادة النفوس.
- بحث علي عن الشهادة في بدر، فقالوا، في أحد، فهبَّ إلى هناك، فقال: ربما كانت في الخندق، فسعى إليها، قالوا: التمسها في خيبر، فلما أتاها، قالوا: تأخر الموعد. قال: ما أحسن القتل في المسجد.
- يحفظ العلم بالعمل به وتعليمه والتأليف فيه، ومن حفظه وكرره وذاكره به ودرسه ثبت في صدره.
- لا بد للناجح من أن يكون قوي الملاحظة، دائم التركيز، حافظــاً للوقــت، مــديماً للتدبر، طموحاً إلى المعالي.

- قال ابن عباس: ذللت طالباً فعززت مطلوباً، وقال عمر: تفقهوا قبل أن تسودوا، وقال مجاهد: لا يطلب العلم مستح ولا مستكبر.
- مثبطات النجاح: هوى متبع، ونفس أمارة، ودنيا مؤثرة، وهمة باردة، وطول أمل مع تسويف.
- الناجح يأنف من الرزايا، ولا يتحمل المنن، ووقت الراحة له عمل ووقت العمل راحة.
- الفراغ مفسدة، والمباحات مشغلة، وأكثر الناس مثبطون، والولد مجبنة محزنة مبخلة.
- سبعون سنة قضاها الإمام أحمد يتقوَّت من أجرة دكان، وسبعون سنة قضاها الخليل بن أحمد على الخبز والزيت، وسبعون سنة قضاها سفيان الثوري على خبز الشعير.
- الناجح يرضى عنه ربه بالإيمان ، وأهله بالألفة ، والناس بالأخلاق والمجتمع بالنفع.
- تولى أبو بكر سنتين فأقام الخلافة وهزم المرتدين، وتولى عمر بن عبد العزيز سنتين فنشر العدل وأزال المظالم وجدد الدين، وتعلم ابن أبي جعد العلم سنتين فصار مفتي المدينة.
- سجن السرخسي فألف المبسوط في ثلاثين مجلداً، وأقعد ابن الأثير فصنَّف جامع الأصول والنهاية ثلاثين مجلداً، وسجن ابن تيميه فأخرج الفتاوى ثلاثين مجلداً.
- كان ابن الجوزي يكتب خواطره، وكان كِتابُ الفتح بن خاقان في جيبه ليقرأ كل وقت، وكان الخطيب البغدادي يطالع وهو يمشي.

- قال عمر بن عبد العزيز: إن لي نفساً تواقة ؛ تاقت للإمارة فتوليتها، ثم تاقت إلى الخلافة فتوليتها، وهي الآن تتوق إلى الجنة .
- كان أبو منصور الثعالبي يخيط جلود الثعالب فترقَّت به همته إلى أن صار أديب الدنيا، وكان الفرَّاء يشتغل بالفراء ثم صار نابغة النحو، وابن الزيات كان يبيع الزيت ثم تولى الوزارة .

• وإذا كانت النفوس كباراً	تعبت في مرادها الأجسام
• همة تنطح الثريا وعزم	نبويٌّ يزعزع الأجبالا
• لولا المشقة ساد الناس كلهم	الجود يفقر والإقدام قتَّالُ
• همتي همة الملوك ونفسي	نفس حر ترى المذلة كفراً
• تريدين لقيان المعالي رخيصة	ولا بد دون الشهد من إبر النحل
• إذا غامرت في شرف مرومٍ	فلا تقنع بما دون النجوم
• ولم أر في عيوب الناس عيباً	كنقص القادرين على التمامِ
• ومن تكن العلياءُ همة نفسه	فكل الذي يلقاه فيها محبب
• لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى	فما انقادت الآمال إلا لصابر
• من يهن يسهل الهوان عليه	وما لجرح بميت إيلام
• لولا لطائف صنع الله ما نبتت	تلك المكارم في لحم وفي عصبِ

الفصل الثانـي

همة تنـاطح الثريا

قال تعالى: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ ، وقال:﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ ، وقال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾، وقال:﴿ وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾، وقال:﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله)، وقال: (الكيّس مــن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانيّ)، وقال: (اغتــنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقــرك، وحياتك قبل موتك).

وقال لأحد لأصحابه: (أعني على نفسك بكثرة السجود)، وقال لآخر: (لا يزال لســانك رطباً من ذكر الله)، وكان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بــك مــن العجــز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)، وقام مــن الليــل حتى تفطرت قدماه ، وربط الحجر على بطنه من الجوع، وربما صــلى أكثــر الليــل، وصبر على الإيذاء، والسب والشتم والطرد من الأوطان والجراح في المعركة والجوع،

وجاهد أعداء الله من مشركين ويهود ونصارى ومنافقين، وكان أعظم الناس جهاداً وأحسنهم خلقاً، وأجلهم إيماناً، وأسدهم رأياً وأنبلهم كرماً، وأكرمهم نفساً، وأطيبهم عشرة، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم يداً ، وأكبرهم همة، وأمضاهم عزيمة، وأكثرهم صبراً صلى الله عليه وسلم.

وصبر معه أصحابه أجلَّ الصبر، وجاهدوا أحسن الجهاد، فوقفوا مواقف تشيب لها الرؤوس، فضحوا بأموالهم وأنفسهم، وقدَّموا الغالي والرخيص في سبيل الله، ولقوا الألاقي في مرضاته، فنُكِّل بهم من أعدائهم، فمنهم من قتل ومنهم من جرح، ومنهم من قطعت أعضاؤه ومزقت أطرافه، وأكلوا من الجوع ورق الشجر، وسحب بعضهم على الرمضاء، وحبس البعض، هذا وهم صامدون، مجاهدون، يستعذبون من أجل دينهم العذاب ويستسهلون الصعاب، ويتجرعون الغصص .

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق ماله كله في سبيل الله، ويهب عمره كله لمرضاة الله، فهو المصلي الصائم المنفق المجاهد المضياف الجواد البار الصادق الذاكر العابد القانت الأواب، حتى أنه ليُدعى من أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة لكثرة فضائله وإحسانه، وهو رفيق الرسول صلى الله عليه وسلم في الهجرة، وصاحبه في الغار، ما تخلف عن غزوة ولا تأخر عن معركة، بل هو السبَّاق الأول إلى الإسلام، والهجرة والجهاد، والبر التقوى، وما استحق كلمة الصديق ولا تاج القبول ولا وسام البر إلا بعد جهاد عظيم وخلق مستقيم وفضل عميم.

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغ الغاية في الزهد والورع مع ما سبق له من المقامات الجليلة في الإيمان والتضحية والهجرة والجهاد، والإنفاق مع خشية لربه، ومراقبة لمولاه، وعدل في رعيته، وضبط لشؤون المسلمين وإتقان لعمله في

الخلافة مع الصدِّيق في السرِّ والعلن، والإنصاف في الغضب والرضى، مع ما كان عليه من الفقه في الدين والاجتهاد في معرفة الوحي، واستنباط الحكم من النصوص .

وهذا عثمان بن عفان ذو النورين رضي الله عنه الذي سارع إلـــى الاســـتجابة لله ولرسوله فأسلم قديماً، ولزم الرسول صلى الله عليه وسلم مع العسر واليسر، فصدق مـــع الله في جهاده وهجرته وإنفاقه ، فجهز جيش العسرة، واشترى بئر رومة، وأوقفها علـــى المسلمين، ومهر في القرآن وجوَّده حتى كان يتهجد به أكثر الليل ، مع الحيـــاء مـــن الله والسعي في مرضاته، مع صدق اللهجة وكرم النفس، وطهر الضمير وحمد السيرة.

وهذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين أبو الحسن رضـــي الله عنـــه كـــان ســـيد الشجعان، ورائد الفرسان حضر المعارك، وجالد بسيفه، وقتل الأقران، فكـــان ميمـــون النقيبة، مبارك السيرة، طيب السريرة، مع ما كان عليه من علم غزيـــر وفهـــم ثاقـــب، وفصاحة مشرقة وشجاعة متناهية، وزهد عظيم وإقدام وتضحية وهمة ومضاء، وعزيمة وإباء، حتى استحق هذه المنزلة بجدارة، وتأهل للمجد بحق.

وهذا أبي بن كعب سيد القراء، جمع القرآن وأتقنه وحفظه، وضـــبط فعلـــم، وعلـــم وصدق ونصح حتى صار آية في هذا الفن، ومرجعاً في هذا الباب.

وهذا الزبير بن العوام أحد العشرة، أصيب في كل شبر من جسمه فـــي ســـبيل الله، فكان حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الجنة.

وسعد بن أبي وقاص أحد العشرة وخال الرسول صلى الله عليه وســـلم صـــدق الله فكان مجاب الدعوة، ثابت القلب، فنصره الله على أهل فارس، ورفع به رأس كل مسلم، وكبت به أعداء الله فكان الأسد في براثنه.

وعبد الرحمن بن عوف أحد العشرة تصدق بقافلة في سبيل الله بجمالها وحمولتها طلباً لمرضاة الله، وأنفق في كل عمل راشد مبرور.

وهذا ابن عباس حبر الأمة، وبحر الشريعة وترجمان القرآن، جدَّ في طلب العلم، وحرص عليه غاية الحرص ، وبلغ النهاية في فهم الوحي، وتصدر لتعليم الناس، فكان عجباً في حفظه، وفهمه وبيانه وكرمه وسخائه، حتى صار إماماً للناس لما صبر وجاهد وعلَّم وتعلَّم.

وهذا معاذ بن جبل، إمام العلماء طلب العلم من معلم الخير صلى الله عليه وسلم وعمل بما علَّمه الله فكان مثل العالم العامل المنيب المخبت الزاهد العابد ، ودعا إلى الله وعلم عباده، وجاهد في سبيله ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر، مع فقه عميق وخلق كريم، ورفق بالناس، وسخاء بذات يده.

وأبو هريرة سيد الحفاظ، جمع الحديث حفظاً وبلَّغه الأمة صدقاً ، فكان الحافظ الأمين حقاً، قسَّم ليله للعبادة وتذكُّرِ الحديث والنوم، اشتغل بتعليم الناس مع الفتيا والوعظ والجهاد والتعليم، وما ذاك إلا لسموِّ همته، ومضاء عزيمته، وقوة نفسه.

وهذا خالد بن الوليد سيف الله المسلول ، كتب اسمه في سجل الخالدين بحروف من النور، وخلد ذكره في ديوان الفاتحين بأسطر من ضياء، نصر الإسلام بسيفه، وخاض غمار المعارك، يعرض نفسه الأخطار، ويقدم روحه في راحته، مستهيناً بالمصاعب، حتى صار مضرب المثل في الفداء والتضحية وسمو القدر وجلالة المنزلة وارتفاع المحل.

وسعيد بن المسيب سيد التابعين، ما فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام ستين سنة، وكان يمضي ثلاثة أيام مسافراً في طلب الحديث الواحد، وغالب جلوسه في المسجد،

وكان مرجع الناس في الفتيا وتعبير الرؤيا، مع قيام الليل، والقوة في ذات الله، والغيـــرة على محارم الله، والصدق والزهد والإنابة، والسخاء والهيبة والعلم الراسخ.

وعطاء بن أبي رباح، المولى الأسود، رفعه الله بالعلم، مكث في الحرم ثلاثين سنة يطلب العلم، ثم صار مفتي الناس مع تقشفه، وإخلاصه وورعه، وتبحـــره وإتقانـــه فـــي الرواية، وفقهه في الدراية، فصار إماماً للناس.

والحسن البصري المولى، جاهد في طلب العلم ومعرفة الســـنة، والصـــبر علـــى الاشتغال بالأثر، مع ما رُزِقَه من فصاحة ورجاحة وملاحة، فصار كلامه دواء للقلـــوب، ووعظه حياة للنفوس، وهو في ذلك واحد الناس زهداً وتواضعاً وإنابة وخشـــية وورعـــاً واستقامة، حتى رفعه الله في المحل الأسمى، وبوّأه المكان الأعلى.

والزهري محمد بن شهاب حافظ السنَّة، وإمام الناس في الحديث، طلب العلم مـــع الفقر والحاجة، وصبر وثابر وارتحل إلى العلماء، واعتنى بالحديث فصار أحفـــظ أهـــل زمانه، مع فقه ودراية وسخاء حاتمي وكرم سارت به الركبان، فاستحق أن يكون أســـمه في دواوين السنة مرموقاً، وفي القلوب منقوشاً.

وعامر الشعبي، الإمام الجامع للعلوم، كان قديم السلم ، وافر الحلم، كثيـــر العلـــم، تبحر في السنة، وبرع في الأدب، مع ذهن وقاد، وقلب ذكي، وفهم ثاقب، حتـــى صـــار رسول خليفة عبد الملك إلى ملك الروم لعلمه وفهمه وبديهته، وفصاحته ونبلـــه، وقـــوة شخصيته، وهو الذي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء وما استودعت قلبي شيئاً فخانني، أي ما نسي علماً ويقول: لو أنشدتكم شهراً كاملاً شعراً ما أعدت بيتاً من غزارة حفظه.

وأبو حنيفة الفقيه الكبير، اجتهد في طلب العلم، ورزقه الله فهماً وذهناً خصباً، حتى صار الناس في الفقه عيال عليه، فقعد واستنبط، وصدف عن الـــدنيا، وأعـــرض عـــن

المناصب، وفرق من القضاء، واكتفى ببيع البز، مع عبادة وزهد وخشوع وصدق وذكاء منقطع النظير.

ومالك بن أنس إمام دار الهجرة، صاحب الموطأ الذي فاق الناس عقـــلاً، وأنفــق عمره في طلب الحديث حتى شهد له سبعون عالماً أنه أهل للفتيا، فصارت تضرب إليـــه أكباد الإبل، وتشد إليه الرحال، حباه الله بجلاله ووقار مع حسن سمت وجمـــال مظهـــر وسلامة مخبر.

والشافعي إمام الآفاق الذي قعَّد القواعد، وأصلَّ الأصول، سخَّر جسمه ووقته فـــي طلب العلم، فحَّل وارتحل، وجال وصال حتى ضرب بعلمه الأمثال، وصـــار كالشـــمس للبلدان، والعافية للأبدان، مع صبره وشكره وزهده، وأدبه وفصاحته، ونبوغـــه، وعلـــو همته، ورجاحة عقله وسعة معارفه.

وأحمد بن حنبل إمام السنة، وقامع البدعة، وبطل المحنة، طاف الأقطار ، وقطـــع القفار في جمع الآثار، مع الجوع الشديد ، والتعب المضني، والفقـــر المـــدقع، والزهـــد الظاهر ، ثم ابتلاه الله بالمحنة، فحبس وجلد فما أجاب، فرفعه الله لعلمه وصبره وصدقه، حتى أصبح ذكره في الخالدين، وصار إماماً للناس أجمعين .

وعمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد العابد المجاهد، مجدد القرن الأول، عزف عن الدنيا وأعرض عن الشهوات وأقبل على العلم والعبادة والزهد والعدل، فأقام الله به السنة وقمع به البدعة، وأنار به طريق الإصلاح وجدَّد به معالم الفلاح، فهو إمام هدى، وعالم ملَّة، ورباني أمة.

وسفيان الثوري زاهد زمانه، وعالم دهره، زهد في الفاني وأقبل على الباقي ، وحفظ الحديث، وجوَّد الزاد، وأفتى وعلَّم وأمر ونهى ووعظ، ونصح بنية صادقة وعزيمة ماضية، وهو مع ذلك يحفظ أنفاسه ويربي جلاسه حتى أتاه اليقين.

وعبد الله بن المبارك الذي جمع الله له المحاسن، فهو العالم العامل الزاهد العابد المجاهد المحدث الحافظ الغني المنفق الأديب الفصيح، طيب الذكر، عظيم القدر، منشرح الصدر ، دأب في الخير وصبر على التحصيل، وداوم على الفضائل، حتى جعل الله له من القبول ما يفوق الوصف.

والإمام البخاري صاحب الصحيح، فتح الله عليه في العلم، فوصل الليل بالنهار في طلب الآثار حتى صار إمام الأقطار، فضرب بحفظه المثل، مع المعرفة التامة والفهم الدقيق، يزين ذلك خلق كريم وزهد مستقيم ، ثم ترك ميراثاً مباركاً في العلم في كتابه الصحيح الذي هو أجل كتاب بعد القرآن، فجزاه الله عن الأمة أفضل الجزاء، وأنزله الفردوس الأعلى.

وقس على هذا الإمام مسلم صاحب الصحيح ومصنفي الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم من المحدثين الأخيار أهل الهمم الكبار.

وانظر لسيبويه، إمام النحو الذي طاف البوادي وشافه العلماء، ثم ألَّف كتابه المسمى بالكتاب، فصار أعظم كتاب في النحو، وصار مَنْ بعده من النحاة عالة عليه، فاستحق الثناء واستوجب الشكر، ونزل منزلة سامية عند أهل الإسلام، لفرط ذكائه ولبراعته، ومئات النحاة تزينت بهم الكتب وأشرقت بهم المجالس، ولولا الإطالة لأشرت لكل واحد منهم، وإنما أكتفي بالأعيان ومن له ذكر وأثر وتفرد وتميّز.

وهذا محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير، جمع الفنون وصنف التصـانيف، وحاز قصب السبق في تفسير كتاب الله حتى صار شيخ المفسرين، وصار كتابه أعظـم كتاب في هذا الفن، فتداوله الملوك، وتباشرت به الأقطار، ونهلت من فيضه الأجيال، فهو مرجع كل مفسر، ومعتمد كل عالم لكتاب الله تعالى.

وهذا ابن حبان صاحب الصحيح، المحدث الأعجوبة الذكي العبقـري اللـوذعي، طاف البلدان، وهجر الأوطان، وبرع في هذا الشأن؛ حتى روى عن ألفين من الشـيوخ؛ ومن شاء فلينظر إلى كتابه الصحيح وكتبه الأخرى ، فإن فيها من التبحر والدقة والبراعة ما يفوق الوصف.

ومن الأئمة الكبار أبو اسحق الشيرازي الفقيه الشافعي صاحب المؤلفـات الذائعـة الشائعة الماتعة النافعة، كان يكرر درسه مائة مرة، ويعيد القياس ألف مرة، حتى نحـل جسمه من علوِّ همته، وقوة عزيمته، وفيه يقول الشاعر:

تـراه مـن الـذكاء نحيـل جسـم عليـه مـن توقـده دليـل
إذا كـان الفـتى ضـخم المعـالي فلـيس يضـيره الجسـم النحيـل

ومن الفلاسفة الأذكياء وأهل المنطق والأطباء ابن سيناء الرئيس، فإنـه بـرع فـي فنونه، وسهر الليالي في مذهبه، وجدَّ وحصّل وثابر وواصل، حتى صار يضرب بهمتـه المثل، وكان يكتب كل يوم كراسة، وصار أعجوبة الأعاجيب في تخصصه، وأحد أذكياء العالم على فسادٍ في مذهبه.

والفارابي الفيلسوف كان بزي جندي، انصب وانكب على كتب اليونان حتى رسخ فيها، وأدمن النظر في ضوابطها حتى أتقنها، وصار من أكبر الفلاسفة لصبره وهمتـه، وجلده، فيما توجه له من مذهب .

والرازي الفخر صاحب التفسير جمع فأوعى، وصنف وألف، ودرَّس ووعظ، وخطب وكتب وصار عين زمانه وقريع دهره في بهجة مع الأبهة والفخامة الدنيوية والثراء الفاحش والله الموعد .

ومن العلماء الربانيين الإمام النووي مات في سن الأربعين، لكنه ترك علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وحسبك برياض الصالحين، وهذا الإمام واصل ليله بالنهار ، وصام وقام، وسطع ولمع، وجمع في العلم، وهجر الكرى، وجد في السرى، حتى اعتزل الزواج ليتفرغ للعلم، فأتى فيه بالعجب العجاب.

وشيخ الإسلام وعلم الأعلام ابن تيميه سيد العلماء وكبير الفقهاء، جد في الطلب فحاز الرتب، حقق ودقق ووثق، ودرَّس وخطب، وأفلح حتى صار مجدد قرنه، ومصلح زمانه، وترك من التأليف ما يفوق الوصف براعة، وحسناً وأصالة، وعمقاً، فهو حقيقة مضرب المثل للعالم الرباني، العامل بعلمه زهداً وخشية وإنابة وجهاداً وصدقاً وتواضعاً وكرماً وشجاعة وإمامة، وما حصل على هذا الفضل بعد فتح الله وكرمه إلا بصبر وجلد، وسهر وتعب، ومشقة ونصب، لأنه كان ذا همة عارمة، لا تقبل الأدنى، وعزيمة صارمة لا ترضى بالدون؛ فبز علماء عصره، وصار المرجعية الكبرى للفتيا، فهو قصة سارت بها الركبان وأعجوبة قلَّ أن يرى مثلها الزمان.

وتلميذه ابن القيم صاحب التصنيف المبارك البديع، الذي استفاد منه الموافق والمخالف، مع حسن لفظ، وبراعة إنشاء وقوة حجة، وصحة برهان ورسوخ علم، وعمق فهم، وكان هو في نفسه ذاكراً شاكراً صابراً صواماً قواماً عابداً زاهداً.

وابن رجب الحافظ المجتهد، كتبه خير شاهد على علمه، وفهمه وتبحره، وله جهد مبارك مشكور في شرح الأحاديث وإخراج كنوز الآثار، بل لا أعلم عالماً له من البراعة في الشرح مثل ما لهذا العالم الكبير.

ومنهم حافظ الدنيا في زمانه ابن حجر، صاحب فتح الباري الذي شرح فيه صحيح البخاري فقد دبجَّه في خمس وعشرين سنة، وصنفَّ المقدمة في سبع سنوات، فأتى بما يذهل العقول ويدهش الألباب، مع عشرات من المجلدات غير ذلك، وكان دائم التحصيل والتأليف والتدريس ،لا يكل ولا يمل ولا يفتر، حتى أصبح خاتمة الحفاظ، وسيد الجهابذة، وشيخ المحدثين، ومن شاء أن يعرف هذا الرجل فلينظر في الفتح، فلا هجرة بعد الفتح.

ومنهم السيوطي جامع الفنون، وحائز قصب السبق في التأليف والتصنيف، وقد اعتزل في الأربعين، وترك تراثاً ضخماً من المؤلفات النافعة الذائعة.

وقبلهم ابن الجوزي واعظ الدنيا، أكبر مؤلف في كثرة ما ألف فقد ألف قرابة ألف مصنف، ما بين كتاب ورسالة، وشغل وقته بطلب العلم والحفظ والتفقه، والتصنيف والتدريس والوعظ، حتى أصبح حديث الركب، وقصة الزمن، وأعجوبة الدهر، فصاحة ونباهة وعلوّاً.

ومن أهل الهمم القوية والعزائم المرضية السلطان نور الدين محمود زنكي، الإمام العادل الخاشع العابد، الزاهد المجاهد الصوّام القوام الذاكر الشاكر الصابر الفريد، صاحب الرأي السديد ، والنهج الرشيد، عدل في الرعية ، وحكم بالسوية، وهجر الدنيا الدنية، ورزقه الله الشهادة بعد عمر حافل بالصالحات والخيرات.

ومنهم صلاح الدين الأيوبي فاتح القدس وهازم الصليب، وناصر الملـــة، ومقـــيم العدل، مع تقوى وديانة وخشية وأمانة، رفعه الله بالإخلاص ونصره بالصـــدق، وفـــتح عليه في الجهاد، دوَّخ الأعداء ونشر الملة السمحاء، وجد في طلب العليا بهمة علياء.

ومثلهم مضى القادة من الفاتحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه بجمعهم الهمـــة والصبر، مع صدق العزيمة وقوة الإرادة ، وسمو القدر.

ومنهم مجدد الإسلام في هذا الزمان الإمام محمد بن عبد الوهاب، الذي جدد الله به دينه، ونصر به شرعه، وأعلى به كلمته ، وهو الذي دعا إلى التوحيد، وهـــدم الأوثـــان، وأزال الشركيات، وصحح المعتقد، وجاهد في الله حق جهاده بعزم أمضى من الســـيف، وهمة أقوى من الدهر، وصبر عظيم وإخلاص وتضحية، حتى رفع الله محلـــه، وأعلـــى قدره، ورفع ذكره، وكبت أعدائه، فاستحق كلمة الثناء، ومنزلة الإمامة، ورتبة الربانية.

وممن عاصرنا ورأينا وجالسنا وعرفنا سماحة الإمام العالم العامل الشـــيخ عبـــد العزيز بن باز جامع الميمات الثلاثة؛ ميم العلم ، وميم الحلم، وميم الكرم ، وكان إمامـــاً في السنة على هدي السلف، محدثاً فقيهاً عالماً مربياً رفيقاً بالنـــاس رحيمـــاً متواضـــعاً صبوراً ،يقوم بأعمال يعجز عنها نفر من الرجال، فكان يعلّم ويفتـــي ويراجـــع الكتـــب ويرسل الرسائل للأفاق، ويشفع ويضيف وينصح ويعظ ويحاضر ويحضر المـــؤتمرات، مع زهد وخلق وسماحة، وذكر وتهجد وصدقات، وإصلاح بين الناس، وأمر بمعـــروف ونهي عن منكر، وصبر على أذى وشفقة على المساكين، ورحمة بالفقراء وحب لطلبـــة العلم.

ولا ننس الإمام الفقيه العلامة الزهد محمد بن عثيمين كان فقيهاً ذكياً ألمعياً عالماً، علَّم وأفتى ودرس بصبر وحكمة ورفق، وأتقن عدة فنـــون شـــرعية، وواصـــل التعلـــيم

والإفتاء حتى طبق اسمه الآفاق، مع صدوف عن المناصب وزهد في المراتب، وإعراض عن الدنيا، وترك طلاباً نجباء ،وكتباً هي قرة عيون العلماء، صحة في المعتقد، وقوة في الحجة، وجمالاً في الأسلوب.

وكذلك محدث العصر وعلامة السنة في زمانه، الشيخ الإمام محمد ناصر الـــدين الألباني، صاحب المصنفات المشهورة، والرسائل النافعة، قضى عمره كله ليله ونهـــاره في خدمة السنة تصحيحاً وتضعيفاً وجرحاً وتعديلاً، وكان على هدى السلف مع اهتمـــام بشؤون المسلمين وقضاياهم في مشارق الأرض ومغاربها.

ومحمد الأمين الشنقيطي، الإمام الحافظ الأصولي المفسر النظار اللغــوي، حـــافظ وقته، وكان يلقي الدرس ارتجالاً فيأتي بالعجب العجاب، لجودة ذهنه وصـــفاء خـــاطره، وقوة حفظه، حتى انبهر منه العلماء وصار مضرب المثل للأذكياء.

الفصل الثالث

اعرف نفسك

ومعنى ذلك أن تتعرف على مواهبك التي منحك الله، فتوظفها في بابها، سواءً علماً أو عملاً أو مهنة، فإن لكلٍ مذهباً ومشرباً صنوان وغير صنوان، وقد علم كل أناس مشربهم، ولكل وجه هو موليها، والناس أجناس، فحق على العاقل أن يمهر فيما يجيد، وكلٌّ ميسَّرٌ لِما خُلِقَ له، ومن يلاحظ حياة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أن كلَّ واحد منهم أجاد في بابه، فأبو بكر ضرب في كل غنيمة بسهم ولكنه برز في الخلافة والقيادة مع العدل والزهد والإخلاص والصدق.

وعمر قوي في ذات الله شديد على أعدائه، عادل في حكمه، وعثمان رحيم شفوق ذو تهجد وصدقات وبر وحياء ورقّة، وعلى شجاع صارم خطيب نجيب فقيه.

وأُبيٌّ سيد القراء، ومعاذ إمام العلماء، وخالد رمز الأبطال، وابن عباس ترجمان القرآن، وحسان مقدم الشعراء، وزيد بن ثابت كبير علماء الفرائض، وأبو هريرة شيخ الرواة، وهكذا.

فاكتسب معارفك بنفسك بمهارتك وتجاربك ومزاولتك للأعمال ومباشرتك للحياة.

إن الكتب تلقّن الحكمة، لكنها لا تخرّج الحكماء، وإن الذين امتازوا في العلوم والفنون لم يتعلموا في المدارس فحسب بل تعلموا في مدرسة الحياة ومصنع التجار .

إن كتاباً في فن السباحة يعطي مفاتيحَ في هذا الباب لكن لا يمنع الجاهل بالسباحة من الغرق، لكن أفضل طريقة له أن يهبط إلى النهر ليتعلم فيه مباشراً.

ومثله الخطيب البارع فإنه لم يمهر ويتميز لأنه قرأ مجلدات في فن الخطابة، بل لأنه صعد المنابر وأخطأ وأصاب، وفشل ونجح، وجرب وتدرب، حتى بلغ الغاية في هذه الموهبة.

فإذا أردت البراعة في أي علم أو عمل أو موهبة فاغمس نفسك فيه وانصهر في معاناته، واحترق بحبه، والشغف به إلى درجة العشق وللناس فيما يعشقون مذاهب، وكما قال الشاعر:

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعول في الدنيا على رجل

فلا تظن أن النجاح سوف يقدم لك هبة على طبق من ذهب وإن أقبح نصر هو ما كان عن هبة:

وأقبح النصر نصر الأغبياء   فهم سوى فهم كم باعوا وكم كسبوا

لكن النجاح الغالي هو ما حصل بجهد وعرق ومشقة ودموع ودماء وسهر وتعب ونصب وتضحية وفداء، وكما قال أبو الطيب:

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والإقدام قتال

إن الناس لا يرحمون الفاشل، وإن الساقط مغضوب عليه وكما قيل: إذا وقع الجمل كثرت سكاكينه؛ لأن الناس لا يحترمون إلا كل ناجح متفوق، فتراهم ينظرون إليه خاشعة أبصارهم، إذا كنت عالماً أو نابهاً أو غنياً أو مرموقاً أو مصلحاً، أما البليد الغبي الفاشل الساقط فلا تلمحه العيون؛ لأنها لا تراه أصلاً:

من يهن يسهل الهوان عليه　　　　ما لجرحٍ بميت إيلام

فعليك بطريق التعب والمشقة حتى تصل﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ وإياك ثم إياك والكسل والتواني والتسويف والأماني فإنها رؤوس أموال المفاليس ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ .

إن الله يحب المجاهدين ويكره العجزة الفاشلين، وإن ألذَّ خبز هو ما حصل بعد عرق الجبين، وإن أهنأ نوم ما كان بعد تعب، وإن أحسن شبع ما سبقه جوع، وإن الورد لا يفوح حتى يعرق، وإن العود لا يزكو حتى يحترق:

لولا اشتعال النار فيما جاورت　　　　ما كان يعرف نفخ طيب العود

إن الماء الراكد يأسن ويتغير طعمه، لكن إذا جرى وسرى طاب وعذب، وإن الكلب الجاهل حرام صيده، لكن صيد الكلب المدرب حلال، لأنه أتى بعد جهد ودربه ومعرفة، يقول الشاعر:

تريدين إدراك المعالي رخيصة　　　　ولا بد دون الشهد من إبر النحلِ

فالبدار البدار قبل تقضى الأعمار فلا راحة مع الليل والنهار:

ولا تقل الصبا فيه امتهال　　　　وفكر كم صبي قد دفنتا

الفصل الرابع

صفة طالب العلم الناجح

❋ همة لا تعرف النكوص، ورغبة ملحَّة، وشهوة عارمة في العلم وحماس منقطع النظير وحرص على الفائدة.

❋ معرفة ثمرة العلم الجليلة، وعاقبته المحمودة، ونتيجته الرائدة.

❋ التدرج في الطلب جملة جملة، وحديثاً حديثا، وباباً باباً.

❋ البداية بالأهم فالمهم، وتقديم أصول المسائل قبل فروعها .

❋ اغتنام الحفظ وقت الصِّبا وأوائل الشباب .

❋ التخصص ومعرفة الفن المحبّذ والتركيز عليه لتظهر الموهبة .

❋ تنويع أساليب الطلب من التلقي على الأساتذة وقراءة الكتب وسماع الدروس والتأمل والمذاكرة .

❋ التكرار مع ضبط المعلومة، وتحقيق المسألة والرسوخ العلمي .

❋ الاهتمام بالإبداع والابتكار ونبذ التقليد والمحاكاة .

❋ التطواف في الفنون الأخرى لأخذ فكرة مع جرد المطولات والنظر فيما جَدّ مع العصر.

❋ الاهتمام بالتصنيف في فنه وتعليمه ومراجعته كل وقت.

❋ العمل بالعلم الشرعي النافع، فإن هذا بيت القصيد ورأس المال.

الفصل الخامس

علامات العالم المتفوق

- ❖ العمل بما تعلم، وظهور بركة العلم عليه، وإخلاصه لربه سرّاً وعلانية.
- ❖ نفع الناس، والأثر الطيب فيمن حوله، ونشر علمه، وعدم كتمانه.
- ❖ الصبر على الأذى، وتحمل جفاء الناس، والتواضع لهم.
- ❖ الزهد في الدنيا، بطلب ما عند الله، والإعراض عن الفاني وطلب الباقي.
- ❖ حسن الخلق، وكرم السجايا، وسلامة الطبع من كل ما يشين.
- ❖ علو الهمة في التأليف، وتربية الجيل والإصلاح.
- ❖ نبذ التقليد، والتعويل على الدليل كتاباً وسنةً.
- ❖ الرسوخ العلمي بالغوص على الحقائق، ومعرفة المقاصد والتفطن لأسرار الشريعة.
- ❖ الاجتهاد في طلب الحق، وبذل الجهد في معرفة الصحيح.
- ❖ اجتناب الشاذ من الأقوال، والغريب في المقال، والموضوع من الحديث، والكذب من المنقول.
- ❖ معرفة واقعه وعصره، وما يدور في محيطه ويعيش معه.

الفصل السادس

الداعية إلى الله وأوصافه الجميلة

✸ عنده عقل راجح، وعلم راسخ، وخشية متناهية، لأن السفيه أحمق، والجاهل أعمى، والفاجر مخذول.

✸ دائم الطلب للعلم، والحرص على الفائدة، والحفظ للوقت والاهتمام بمعالي الأمور.

✸ يأمر الناس ويأتمر، وينهي الناس وينتهي، أول من يفعل ما يقول، قد ظهر قوله على فعله، وصلح ظاهره وباطنه.

✸ رفيق بالناس، ميسِّر لا معسِّر، مبشِّر لا منفِّر، متعرِّف إلى الناس بأخلاقه لا متنكِّر.

✸ لديه حكمة تلازمه عند كلامه وعند فعله، يتحرى الأصوب ويفعل الأصلح ويهدي بإذن الله إلى الأقوم.

✸ متدرج في دعوته وإصلاحه، يورد العلم مسألة مسألة، ويعالج المشكلات قضية، قضية.

✸ زاهد فيما عند الناس راغب فيما عند الله، يعاف الثناء ويكره المديح، ويفر من العلو في الأرض، ولا يطلب إلا رضى الله.

✸ معتصم بالكتاب والسنة بعيد عن البدع، سليم الصدر سهل الجانب طلق المحيا جم الحياء.

✸ لا يجرح الأشخاص، ولا يتهكم بالأجناس، ولا يستهزئ بالناس، عفيف اللسان، طاهر الجنان، طيب الأردان.

الفصل السابع

سمات المفتي الجليل وأخلاقه

☆محقق لما يقول، متحرٍ في جوابه، ورع في فتواه، خائف من مولاه.

☆همه أن ينقذ نفسه قبل الناس، له نية في فتواه، وإخلاص لله، وصدق في ظاهره ونجواه.

☆صاحب دليل، معتصم ببرهان، متدرع بحجة، يفر من التقليد وطلب غرائب المسائل وشواذ الأقوال.

☆عالم بأحوال الناس وملابسات حياتهم وأمور معاشهم؛ لينزل الأقوال على الأحوال والفتيا على الواقع.

☆لا يربك السائل بكثرة الأقوال، وإنما يحقق له الجواب الصحيح حسب الإمكان.

☆متثبت من السؤال متمكن من الجواب، إذا لم يعلم قال: لا أدري ؛ لأنها نصف العلم.

☆مطّلع على أقوال العلماء بدليل كل عالم، مميز بين القوي والضعيف، والراجح والمرجوح.

☆مهتم بعلم الأثر والرواية وتصحيحاً وتضعيفاً، دائم البحث والمذاكرة والاستفادة.

الفصل الثامن

المعلم الموفق ومزاياه الفاضلة

✯ قدوة في الخير لطلابه، وأسوة حسنة لتلاميذه محبب إليهم، عزيز عليه.

✯ محضِّر لمادته العلمية، حريص على نفع الطلاب والارتقاء بهم في سلم العلم والمعرفة.

✯ سليم من الجفاء والبذاء والغلظة والفظاظة، يألف طلابه ويألفونه.

✯ عاكف على تخصصه، متميز في فنه، ملمّ بأطراف موضوعه.

✯ كثير الاطلاع، موسوعي المعرفة، عارف بثقافات عصره وقضايا أمته.

✯ متوقد النفس بما يقول، ملهب لطلابه، متحمس في إلقائه وطرحه، بعيد عن البرود والجفاف.

✯ مواظب على دوامه، دقيق في مواعيده، منتظم في عمله.

✯ بعيد عن الشبهة وكل ما يريب، هاجر كل خلق رذيل، متصف بكل وصف جميل.

✯ لا ينهمك في المزاح واللغو والسفه والفحش في القول، بل هو لين القول، عذب الكلمة، طاهر اللسان.

الفصل التاسع

الإداري المتميز وعلامات الإبداع

★دقيق في أموره، ضابط لإدارته، ملم بشئون مرءوسيه.

★نظامي يضع كل شيء موضعه، يربي بعمله أكثر من قوله.

★ينهي أعماله كل يوم بيومه، وليس لديه تسويف ولا اضطراب.

★يوزع المهام على حسب التخصص والمواهب والإمكانات.

★جيد المتابعة، حازم في قراره، يشاور ويتأمل كثيراً.

★لطيف المعشر، سمح الخلق، قوي في غير ضعف، صارم في غير عنف.

★جم النشاط، حاضر البديهة، دائم الملاحظة قوي التركيز يعجبه الإتقان والجودة.

★يستفيد من خبرات الآخرين وتجاربهم بالاطلاع والمجالسة، له في وقت عمله راحة وفي وقت راحته عمل.

★يحب التميز، ويعشق الإبداع، ويرتاح للتفرد، ويسعى للتفوق.

★يجتنب تكرار الخطأ، ويستفيد من الإخفاق، ويحذر العثرة، وهو متفائل لا يعرف اليأس والإحباط.

الفصل العاشر

خلال رائدة يتصف بها الواعظ المؤثر

❋ الإخلاص والتجرد، والحذر من الرياء والعجب والكبر.

❋ تقويم اللسان بالعربية، وكثرة الدربة على إلقاء الخطب والمواعظ.

❋ كثرة المحفوظ مما يعين على الوعظ من الكتاب والسنة والأدب والقصص والأمثال.

❋ اجتناب الإطالة والإملال توخياً لإقبال الناس.

❋ التوسط بين الرجاء والخوف لئلا يوقع الناس في الأمن من مكر الله أو اليأس من روح الله.

❋ اجتناب الشاذ من الأقوال الغرائب التي يؤديها نقل ولا يقبلها عقل.

❋ مراعاة أحوال الناس وعقولهم، وتخوُّلهم بالموعظة كراهية السآمة عليهم.

❋ عدم تجريح المخاطبين أو التعريض بهم أو الغلظة عليهم.

❋ الرفق بهم واللين في خطابهم واجتناب التشديد عليهم.

❋ الاهتمام بالإلقاء وحسن الأداء، وسلامة النطق وبراعة الاستهلال وحسن الاستدلال وجمال الختام.

❋ ترك مدح النفس أو ذمها، وإيراد سير الصالحين مع مراعاة موافقتها للسنة.

الفصل الحادي عشر

المؤلف البارع ما ينبغي له وما يلزمه

۞ عدم التأليف حتى يتمكن من فنه ويحرره ويغوص في أسراره.

۞ جمع المتفرق أو اختصار المطول أو ترتيب المتفرع أو شرح الغامض وتحقيق المبهم، هذه مقاصد التأليف.

۞ التوسط في التأليف بين الإيجاز والمخل والتطويل والممل.

۞ حسن العبارة، وسهولة اللفظ، والبعد عن التقعر والغريب، وكذلك هجر اللفظ المبتذل والعامي.

۞ مراجعة ما كتب، وعرضه على الأعلم، والمشاورة فيه، وترديد النظر والإعادة والإبداء فيه.

۞ اختيار المسائل التي لم تبحث والناس بحاجة إليها.

۞ لا يكتب إلا في فنه، ولا يتعرض لما لم يحسن فإنها وصمة .

۞ تجريد تأليفه من الكذب والغريب والشاذ والسب والتجريح.

۞ عدم الانبهار بما يكتب أو الإعجاب بما يؤلف فإنه فتنة.

۞ نسبة الأقوال لأهلها، والحذر من السرقة والاختلاس ومسخ المؤلفات الأخرى:﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

الفصل الثانـي عشر

الأبُ الأسوةُ وحليُته وآدابُه

- التوجه إلى الله في كل وقت في صلاح الذرية وكذلك بإصلاح نفسه ودعاء ربه.
- أن يكون قدوة لأبنائه بالقول والفعل ليصدق فعله قوله.
- ملاعبة الصغير وتأديبه، وملاطفة الكبير وحسن صحبته.
- حسن الرعاية بتعظيم حق الله عز وجل، وتقديس الحرمات وصيانة حـدود الله فـي نفوسهم.
- الحذر من هجر بيته وطول غيبته لغير ضرورة، وتعاهد أهله بـالجلوس والحـديث والدرس والموعظة.
- حفظ أهله من وسائل الفتنة وأدوات الخراب واللهو وتطهير بيته من كل ما يشين.
- الرقابة على عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم في البيت والمدرسة ومـع النـاس باختيـار الجلساء وحسن المتابعة.
- مراعاة سنهم في التوجيه بتبسيط الوعظ لهم والقصص وضرب الأمثال.
- الحذر من حياة الترف فإنها فساد، والإسراف فإنه فتنة، والغفلة فإنها موبقة.
- تحفيظهم كتاب الله في الصغر، ومنعهم من التشبه بالكفرة، ومحاكاة الفجـرة وتقليـد النساء...

الفصل الثالث عشر

منظومة للناجحين

الحــــــمد لله الــــــذي ربــــــاني ... وأزال عن قلبي العمـــى وهـــداني

وأغـــاثني كرمـــاً وثبـــت حجـــتي ... وأنا رهـــين الـــذنب والنقصـــانِ

ثم الصـــلاة مـــع الســـلام لأحمـــد ... خير البرايا مـــن بـــني الإنســـانِ

والآل والصحب الكرام ومن ســـعى ... لسبيله مـــن تـــابعي الإحســـانِ

هذي قصـــيدة كـــل شـــهم نـــاجح ... ذي همة كالكواكـــب والنـــوراني

لأولي العـــزائم صـــغتها وحبكتـــها ... تُهدى لأهل الفضل من إخـــواني

يـــا مـــن أراد المجـــد مـــن أطرافـــه ... وسعى إلى الفردوس والرضـــوانِ

اسمع هديت نصائحي وأعمـــل بهـــا ... واحرص عليها غايـــة الإمكـــانِ

اسمع للفظـــة ســـابقوا أو ســـارعوا ... جاءت بنص الـــوحي في القـــرآنِ

ويقول أحمد: بـــادروا بـــل فـــاغتنمْ ... خمســـاً رواهُ أحمـــد الشـــيباني

والمؤمن الشهم القوي أحـــبُ مـــن ... عبد ضـــعيف خـــائر الأركـــانِ

احرص على النفع العظيم أتـــى بـــه ... ابـــنُ الحســـين العـــالم الربـــاني

وتعوّذ المختـــار مـــن كســـل ومـــن عجـــز رواه عنـــدنا الشـــيخانِ

هــــذا رســـــول الله قــــام لربــــه فتفطـــــرت لقيامــــه القــــدمانِ

وهو الـــذي ضـــحَّى بكـــل حياتـــه من أجل دين الواحـــد الـــديانِ

بأبي وأمي خير مـــن وطـــئ الثـــرى وتهلَّلَــــت لقدومــــه الــــثقلانِ

أثــــرُ الحصـــير بجنبـــه وقميصُـــه صوفٌ وتحت حزامــه حجـــران

شتموه بـــل أدمـــوه وهـــو مصـــابر في همـــــة مــــا كــــان بــــالمتوانِ

وضعوا السلى والشوك فوق جبينـــه بل من أذاهم ضـــاق بالأوطـــانِ

وتـــراه في صـــبر وعـــزم راســـخ أقوى على الأبصار مـــن ثهـــلانِ

حـــتى حبـــاه الله أعظـــمَ نصـــرِه فاق الخليقـــةَ أنسَـــهم والجـــانِ

واْذكر أبا بكـــر وحســـنَ جهـــادِهِ وثباتــــه في الســــر والإعـــــلانِ

يـــدعى لأبـــواب الجنـــان جميعهـــا من كثرة الأفضـــال والإحســـانِ

في الغـــار صـــاحبَهُ وفـــازَ بهجـــرة حتى أتى في الوحي ذكـــر الثـــاني

وانظر إلى الفاروق واعـــرف قـــدره في قـــوة الإخـــلاص والإيمـــانِ

ورسوخه في العلـــم بعـــد جهـــاده في كـــل موقعـــة مـــع العـــدناني

وعزوفه عـــن كـــل مغريـــة ولـــو جـــاءت إليـــه بزينـــة الألـــوانِ

وبكائـــــه حـــــتى تبلـــــل خـــــده وصـــموده في حومـــة الميـــدانِ

والثالـــث الـــبر الرشـــيد تحـــيتي تسعى بمـــا يشـــفي إلى عثمـــانِ

هو منفق الأمـــوال ســـاعة عســـرة متهجـــداً في الليـــل بـــالقرآنِ

ولبئـــر رومـــة قصـــة محفوظـــة ولـــه ببـــنتي أحمـــد نـــورانِ

واذكر أبـــا حســـن وبجِّـــل قـــدره خير الشـــيوخ وقـــدوة الشـــبانِ

وهو الـــذي ذبـــح الطغـــاة بســـيفه في بدر والأحزاب يـــوم الشـــأنِ

إذ بيته كـــوخ ومفرشـــه الحصـــى مركوبـــه في عمـــره نعـــلانِ

وأُبيٌّ في حفظ المثاني آيـــة معلومـــة ومعـــاذ ذو عـــزم بغـــير تـــوانِ

وأبو هريرة جـــد في طلـــب العلـــى والجوع يصرعه علـــى الجـــدرانِ

في الحفـــظ أصـــبح آيـــة معلومـــة لا تعتريـــه بـــوادر النســـيانِ

أمـــا ابـــنُ عبـــاسٍ فـــأخبر أنـــه بلغ المدى في الصـــبر والإمعـــانِ

بل كان ينتظر الصحابة في الضـــحى والشـــمس تصـــهره بحـــر دانِ

من أجل نيل العلـــم حـــتى حـــازه لســـفينة الآثـــار كالربـــانِ

حي العبادلـــةَ الكـــرامَ وجهـــدَهم في ضـــبط آثـــار وفهـــم قُـــرانِ

للعلم سافر جابر من طيبة   شهراً لمصرَ بهمة الشجعانِ

وابن المسيب للحديث محصلُ   يبقى ثلاثاً ليس بالوسنانِ

ولمالك صبر الرجال لنيله   أعلى المراتب عند أهل الشأنِ

ومشى ابن حنبل جامعاً لحديثه   حتى أتى لإمامها الصنعاني

جذ الحصاد بأجرة وتمزقت   بالمشي نعل الماجد الشيباني

وطوى الإمام الشافعي منازلاً   من أجل بعض مسائل النعمانِ

وتألق الثوري في زهد وفي   ورع وفي علم وفي عرفانِ

والأصمعي طوى القفار جميعها   لمراد آداب وحسن بيانِ

وأقام دهراً سيبويه منقحاً   لعلومه في الحضر والبدوانِ

حتى روى ذاك الكتاب وإنه   أصل الأصول لنحو خير لسانِ

برع الكسائي باجتهاد دائم   هو واحد القراء للفرقانِ

وتفرد الزهري بالسنن التي   سارت مسير الشمس في البلدانِ

وابن المعين إمام كل معدل   علم الرواة وماله من ثانِ

أهدى الخليل النجمَ نومَ عيونه   والعين سفر ظاهر البرهانِ

وأقام من علم العروض عجائباً   ما كان في خلد ولا حسبانِ

وروى ابن حبان حـديث شـيوخه ... ألفين من شـيخ ومـن شـبانِ

همم لـو أن الـدهر يحمـل بعضـه ... لوجدتـه بـالعزم في رجفـانِ

هذا ابـن عبـد الـبر في تمهيـده ... أفـنى ثلاثينـاً مـن الأزمـانِ

وكـذا ابـن حـزم المعـي زمانـه ... قد حـل في العليـاء أيَّ مكـانِ

والظاهري هـو النهايـة في العـلا ... بـل قـدوة لنوابـغ الأزمـانِ

أمـا ابـن تيميـةٍ فـأعظمُ قصـة ... في الجمع والتحقيـق والإتقـانِ

أنفاسـه في العلـم حـتى حـدثوا ... عن عزمه قاصي المـلا والـداني

في اليوم يكتب عشر كـراس كـذا ... تعليمـه في همـة وتفـانِ

وله المواقف في الجهـاد فسـل بهـا ... أهل النقول وحـافظي البلـدانِ

هذا البخـاري أنفـق الأوقـات في ... جمع الحـديث وسـنة العـدناني

ولربمـا تـرك الفـراش بليلـة ... متـذكراً مـا غـاب بالنسـيانِ

قلبي على أهل الحـديث وحـزبهم ... هم صفوة الأخيار كـل زمـانِ

كـم فـيهمُ مـن بـاذل لرقـاده ... من أجل قول رسول ذي الفرقانِ

ومشـتت العزمـات لا يلـوي إلى ... أهـل ولا صـحب ولا جـيرانِ

أَلِفَ النَّـوى حـتى كـان رحيلـه ... للـبين رحلتـه إلى الأوطـانِ

يا دمع أسعفني على ذكراهمُ … واهجر قفا نبكي لكل جبانِ

ذرعوا البلاد وخلفوا أوطانهم … قطعوا القفار بصحبة السرحانِ

جاعوا فما شبعوا وكل مرادهم … عن سعد عن عمار عن سلمانِ

واذكر أبا اسحق من شيراز في … فقه وتأصيل وحسن بيانِ

مائة من المرات كرر درسه … من قبل شرح فيه للإخوانِ

ويكرر التنظير ألفاً صابراً … مع أنه في الزهد شيء ثانِ

ومحمد بن جرير في تاريخه … أملاه من ذهن بلا نسيانِ

تفسيره من حفظه فاْعجبْ له … يا همة تسمو على كيوانِ

واعرف جلال القدر لابن خزيمة … صافي القريحة فائق الأقرانِ

وأبو الفداء ابن العقيل الحنبلي … حفاظ أنفاس ورب معانِ

وله الفنون يكون ألف مجلد … من غير ما أملاه في الديوانِ

بل كان أكل الكعك دون الخبز من … عاداته حفظاً لذي الأزمانِ

وانظر إلى المزني كرر دهره … سفر الرسالة نسخة الرباني

خمس مئات وهو فيها دائب … من غير ما ملل ولا نكرانِ

أما ابن جوزي الجليل فإنه … قد صاغ ألف مؤلف ببنانِ

جمع العلـــوم وجـــد في تحصـــيلها حتى دعـــوه بـــواعظ البلـــدانِ
لا تنس حافظ عصـــره في مصـــره ذا الفـــتح والتهـــذيب والميـــزانِ
شرح البخاري خير شـــرح كامـــل لا هجرة من بعـــد فـــتح ثـــانِ
سلم على الـــذهبي وانظـــر جـــده إذ بـــز حفظـــاً ســـائر الأقـــرانِ
ولـــه مـــع النـــبلاء تـــاريخٌ لـــه وتـــذكر الحفـــاظ مـــن أزمـــانِ
هذا النواويْ مـــات قبـــل مشـــيبه من بعـــد تحقيـــق مـــع الإتقـــان
هجر الكرى للعلـــم وهـــو مشـــابر حتى الـــزواج رمـــاه بـــالهجرانِ
فأجـــاد في تأليفـــه حـــتى غـــدا شمس العلـــوم وقصـــة الركبـــانِ
هذا الســـيوطي فـــاق في تصـــنيفه حـــتى لقـــد قـــالوا لـــه مئتـــانِ
وعلى ابـــن خلـــدون تحيـــة شـــاعر يا عبقري الـــدهر نعـــم البـــانِ
لمـــا نفـــوه أتـــى بتـــاريخ لـــه ذكراه مـــن صـــنعا إلى تطـــوانِ
أما ابن ســـينا فهـــو صـــاحب همـــة كالنار في حطب مـــن العيـــدانِ
حتى على ظهـــر الـــبعير تـــراه في تأليفـــه يـــا صـــبر شـــيخ فـــانِ
وانظـــــر إلى الـــــرازي في تاريخـــــه وابن الكثير وصاحب البرهـــانِ
والقـــيم الجـــوزي وابـــن دقـــيقهم وابن الوزير وبعـــده الصـــنعاني

والعـــالم النحريـــر صـــاحب همـــة ... وقـــادة أعـــني بـــه الشـــوكاني
الكـــل في جلـــد علـــى تحصـــيله ... متـــدرعاً بالصـــبر والســـلوانِ
وأراك في نـــوم عميـــق لاهيـــاً ... يـــا خيبـــةً للفاشـــل الكســـلانِ
قضيَّت عمرك في اللذائـــذ ســـادراً ... يشجيك يا حيران صوت أغـــانِ
فأطرح أماني اللهو واصـــعد واثبـــاً ... للمجد واترك صـــحبة الولهـــانِ
شمِّـــر وواصـــل للمعـــالي دائبـــاً ... واهجر فديت وساوس الشـــيطانِ
واحفظ زمانك واحترس مـــن فوتـــه ... واذكر إذا ما صرت في الأكفـــانِ
وانظر إلى القمـــري أصـــبح غاديـــاً ... في نَيْـــلِ رزق لـــيس بـــالمتوانِ
والنمل ما عرف النكوص ولم يـــزل ... متوثبـــاً في الصـــخر والصّـــوانِ
والنحل مص رحيقـــه مـــن زهـــرة ... والباز خلف الصـــيد في طـــيرانِ
والسهم لـــولا وثبـــه مـــن قوســـه ... لم يلق صيداً وهـــو في القضـــبانِ
الســـيل لـــولا زحفـــه بتـــدفق ... ما كان يدعى هـــادم الجـــدرانِ
والليث لمـــا هـــاج عفَّـــر بـــالردى ... ظبياً وأهـــدى المـــوت للـــثيرانِ
والـــذئب لمـــا هـــاج في أوطانـــه ... حاز الكبـــاش وفـــاز بـــالحملانِ
والشمس لو بقيـــت لمـــل مقامهـــا ... والماء إن يركـــد فغـــير مصـــانِ

والريح لو سكنت لمـــا أهـــدت لنـــا — أرج الزهـــور ونفحـــة الريحـــانِ

والبـــدر لـــو لـــزم المقـــام ببرجـــه — ما كان حاز المدح مـــن إنســـانِ

حـــتى الـــذباب لـــه طـــنين زائـــد — كـــزئير ليـــث فاتـــك غضـــبانِ

لولا اشتعال النـــار فيمـــا جـــاورت — لم تسم عن ترب وعـــن دخـــانِ

والعود لـــو لـــزم المقـــام بأرضـــه — حطب يحرق في لظـــى الـــنيرانِ

در البحـــور علـــى النحـــور لأنـــه — يسعى إلى الغـــواص بالأحضـــان

وجواهر التـــاج المرصـــع لم يكـــن — لولا الفؤوس سوى حصى المـــرانِ

فاكتب لنفســـك أنـــت تاريخـــاً ولا — تذكر لنا الأجـــداد مـــن أزمـــانِ

فالورد من بصل وزهر الروض مـــن — شوك وطيب المسك من غـــزلانِ

وبـــلال عبـــد وهـــو فينـــا ســـيد — وانظـــر إلى عمـــار أو ســـلمانِ

وعطـــاء مـــولى والصـــقليُّ الـــذي — عَمَرَ الديارَ يعـــد نســـل قيـــانِ

ما ضرهم أن فـــاقم نســـب العـــلا — بنفوسهم فـــاقوا بـــني الإنســـان

كم فاشل في عمـــره مـــن أســـرة — مرموقـــة في المجـــد والســـلطانِ

لم يغنـــه نســـب ولـــو آبـــاؤه — من آل شـــيروان وعبـــد مـــدانِ

واذكر أبـــا لهـــب ألـــيس جـــدوده — مـــن آل هاشـــم درة الأزمـــان

لكنَّ نفــس النــذل لم تصــعد بــه ... كــبلال في فضـــل وفي إيمـــانِ

لا تـــأنف العمـــل المبـــاح فإنـــه ... شرف الحياة ومفخــر الشــبانِ

يغنيك عــن فَسْــلٍ بَخِيْــلٍ فــاجر ... ويكف وجهك عن رفيق هــوانِ

حَمْلُ الصخورِ أخفُّ من حمل الأذى ... مـــن مـــانع لعطائـــه منـــانِ

قم فأطلــب الأرزاق مــن أبوابهــا ... لــو أنهــا في الصــين واليابــانِ

بكِّرْ لكسب القوت وأحرص أن تكن ... ذا نيـــة لتثـــاب مـــن ديـــانِ

ودع التكـــبر فـــالحلال عبـــادة ... لو كنت تطلي الإبــل بــالقطرانِ

أو كنت تبني حائطــاً وتجــذ مــن ... نخل وتسقي الزهــر في البســتانِ

يكفيــك في شـــرف المقـــام بمهنـــة ... الأنبياء رعــوا قطيــع الضــانِ

داود حـــــداد ويوســـــف تــــاجر ... إدريس خاط غلائــل القمصــانِ

والخضر طــاف الأرض يعبــد ربــه ... وانظر مزيد الفضل مــن لقمــانِ

أو ما تــرى الفــراء وهــو مبجــل ... كانت صناعته جلــود الضــانِ

وانظر إلى الزجَّــاج وهــو إمامنــا ... في النحو كــان مــزينَ الألــوانِ

وكذا ابــن زيــات الــوزير محمــد ... قد باع زيت النــاس في بغــدانِ

وأبــو حنيفـــة كـــان بـــزازاً وذا ... كابن المبـــارك تـــاجر الرضـــوانِ

وأعـــوذ بـــالله الكـــريم إلهنـــا ... من عاجز في الناس أو كســلانِ

أو باطـــل أو عاطـــل أو فـــارغ ... رأسُ الأماني مـــالُ كـــلِ جبـــانِ

جلسوا مـــع الأشـــرار في أوهـــامهم ... فبُلْوا بكل وســاوس الشــيطانِ

بل قـــال ولـــيم جمـــس إن فراغنـــا ... كبسول موت في يـــد الشـــبانِ

وانظـــر نيـــوتن عبقـــري زمانـــه ... ما كـــان يتـــرك شـــغله لثـــواني

حـــتى أتـــى بعجائـــب وغرائـــب ... علـــم الرياضـــيات والحســـبانِ

واذكـــر انشـــتاين يعقـــد نســـبة ... هي آية في علـــم أهـــل الشـــانِ

وكذا أبو إســـحق مـــن نـــيرون في ... يـــوم الوفـــاة يجـــد في الاتقـــانِ

وأذكر لنا أدســـون يـــوم صـــراعه ... في الكهربـــاء بحرقـــه وتفـــانِ

عشر مـــن الآلاف جـــرَّب فكـــره ... في شـــغل تيـــار مـــن الـــنيرانِ

وأْعجب للنكولن من رئـــيس بـــارع ... نشر العدالـــة وهـــو أمريكـــاني

قد كان يقرأ فوق ظهـــر حصـــانه ... في موكب كـــالبحر في الهيجـــانِ

وغدا تشرشل وهو رهـــن فراشـــه ... مـــن ألمـــع الحكـــام للرومـــانِ

هذا وهم لا يطلبـــون الأجـــر مـــن ... رب الوجود مصـــور الإنســـانِ

لكنـــهم أنفـــوا فـــوات زمـــانهم ... من غير مـــا جهـــد ولا إتقـــانِ

ملــؤوا المكــان صــناعة وزراعــة … وبراعــة في الســفح والوديــانِ

وصــلوا إلى المــريخ حــتى أنزلــوا … في أرضــه ســفناً بــلا إنســانِ

واعجب معي مــن ثــورة هــدارة … دلفت كموج البحر مــن يابــانِ

وبــني قــومي في ســبات منــامهم … يــا حــيرة للخامــل الحــيرانِ

خف الحديث لهــم فأصــبح همهــم … في ســــهرة ولذائـــذ وأمـــانِ

واطلب بجــدك كــل علــم نــافع … واحرص عليــه غايــة الإمكــانِ

قيد وذاكــر واســتفد واكتــب ولا … تكسل عن التكــرار كــل أوانِ

لو كنت تعلم مــا النتــائج لم تــنم … إلا كنوم الــذئب بــين الضــانِ

أتقــن إذا مــا رمــت شــغلاً إنــه … لا خــير في عمــل بــلا إتقــانِ

لا تتــــركنْ أمــــراً يحــــل بيومــــه … لغد فــإن غــداً لشــغل ثــانِ

إن الأهــــم علــــى المهــــم مقــــدم … راعِ التدرج عند أهــل الشــأنِ

وعليم بالترتيب واحــرص أن تــرى … وسطاً بــلا فــوت ولا نقصــانِ

في هيئـــــة مقبولـــــة ورزانـــــة … مع خشية في الســر والإعــلانِ

عش في حدود اليوم واترك ما مضــى … واهجر غداً فــاليوم ضــيف دانِ

واحذر فراغك فهــو لــص جــاثم … يــدعوك للإهمــال والعصــيانِ

إن الفراغ خديعة لعقولنا ... ومحطة للهم والأحزانِ

واقصد إلى عمل تجيد أداءه ... حتى تكون لحسنه متفانِ

وعليك بالتنويع في الأعمال والأ ... قوال والأوضاع والأوزانِ

فالقلب ذو ملل وخير أن ترى ... متنقلاً بالجد في ألوانِ

وإذا النجوم تسابقت وتنزلت ... كل إليك من المجرة دانِ

فاختر أشد نجومها نوراً ولا ... تختار إلا منزل الكيواني

فالليث لا يأكل فريسة غيره ... لو بات رهن الجوع في قضبانِ

والبرق لما أن علا في جوه ... لحوه بالأبصار في رجفانِ

والغيم لما اختار عز محلّه ... فاق الجبال كهيئة التيجانِ

ركب الملوك الخيل لما هملجت ... أما الحمير فمركب الكسلانِ

وانظر إلى الذهب المرصع صابراً ... لم ينصهر بحرارة النيرانِ

قد صار أغلى من رموش عيوننا ... فاق الحديد التافه الأثمانِ

قالوا لطير الحش مالك ساقط ... قال الهوان على أبي جعلانِ

ولثعلب قالوا له أَوَمَا ترى ... ليث العرين يسود في الحيوانِ

فأجاب ليث الغاب عِيسٌ أكله ... وأنا رفيق الهر والفئرانِ

والسيف لما صـــار أمضـــى مضـــرباً حفظوه في قـــرب وفي غمـــدانِ

أتريـــد ســـكنى جنـــة وتنـــام عـــن داعي الصـــلاة أذاك في إمكـــانِ

أتريـــد أن تحظـــى بمـــترل ماجـــد وتظل رهـــن عـــزائم الصـــبيانِ

أتريـــد رفقـــة أحمـــد وصـــحابه وأراك رب بـــــلادة وأمـــــانِ

كلا لقـــد كَـــذَبَتْك نفســـك إنمـــا هذي الأماني خدعـــة الشـــيطانِ

المجـــد أقســـم ألا أســـاق لفاشـــل لـــو أنـــه كســـري أنوشـــروانِ

أمـــا العـــلا فابـــت محبـــة خامـــل لو كان نسل إســـكندر اليونـــاني

وأبى النجاح دخول كـــل مقصـــر لو كان في الأجـــداد كالنعمـــانِ

من غاص في قاع البحـــار أتـــى لنـــا بالمـــاس واليـــاقوت والمرجـــانِ

وأخـــو الخمـــول مخـــدر في بيتـــه في مـــترل الاوبـــاش والصـــبيانِ

أربي ســـــواعدك القويـــــة أنتشـــــي من حســـنها فصـــريفها قـــواني

فلرؤية العلمـــاء والعمـــال والـــــ ـــــصناع في عـــزم وفي إتقـــانِ

أشـــهى إليّ مـــن الفنـــون جميعهـــا أو صوت غانية وعـــزف قيـــانِ

ولمطـــرقُ الحـــدَّادِ أبهـــى منظـــراً من دف ذي طرب على الأوزانِ

هـــاتوا طبيبـــاً واحـــداً متألقـــاً بجميع من في الأرض مـــن فنـــانِ

وخذوا صفوف العــابثين جمــيعهم ... لمهنــــدس في أرضــــنا يقظـــانِ

لو أن أهل الغـــرب كـــانوا مثلنـــا ... في الرقص والتــهريج والهــذيانِ

مــــا ســـيَّروا طيـــارة وســــفينة ... أو أرسلوا الصاروخ كالبركـــانِ

أسفاً على قومي وهم أحفـــاد مـــن ... شادوا صروح المجـــد في البلـــدانِ

كنَّـــا بحـــاراً في البحــــار وربمــــا ... صارت منائرنـــا نـــدا الرحمـــانِ

مَنْ غيرُنا كشفَ الظـــلامَ ولم نكـــن ... إلا نجـــوم سمـــاء كـــل زمـــانِ

وبالليــــل رهبـــان وعنـــد لقائنـــا ... لعدونا من أشـــجع الشـــجعانِ

حتى تركنا المجـــد يهتـــف صـــارخاً ... أين الألى ملكوا يـــدي ولســـاني

يـــا ألـــف أغنيـــة تخـــدر جيلنـــا ... يا ألـــف فلـــم خائـــب فتـــانِ

هـــب لي دماغـــاً زاكيـــاً لأري بـــه ... صـــنع الخـــبير الواحـــد المنـــانِ

وخذ الألوف إليـــك مـــن أوطـــان ... من غير مـــا عـــوض ولا أثمـــانِ

رفعوا لنـــا الأســـعار في تعـــدادهم ... بل أكسدوا حتى الهـــواء الـــداني

عدد الحصى والرمـــل في تعـــدادهم ... لكنـــهم كـــالريش في الميـــزانِ

نستورد المصنوع والمـــزروع والـــــ ... ـــمنسوج حتى جزمـــة الولـــدانِ

القدر من رومـــا وصـــحن طعامنـــا ... مـــن لنـــدن والـــرز باكســـتاني

والثوب من أثينــا وخــتم شماغنــا   بسويسرا والخبــز مــن يونــاني

ونقول نحن أجل مــن وطــأ الثــرى   وطــأ الثريــا غيرنــا بثمــانِ

هل كوكب الشرق استردت قدسنا   أو حـــل في المـــريخ دانٍ داني

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

مع تحيات إدارة مجموعة ورقات البريدية

www.waraqat.net